تجليّات الاقتباس القرآني "في جمع الخردة في تخميس البردة"
شعر إبراهيم أحمد مقري
"دراسة بلاغية تطبيقية"

عمر محمد الأول*

ملخص البحث

يعطي الله ملكة شعرية من شاء من عباده، ويوتيه الحكمة لاقتباس من آي كتابه، ويمنحه الخبرة لاتخاذ من أحاديث نبيّه، كي يتمكّن ماهية الحسن فنه، ويحيا الشعر عنوانا لقريحته، ويستطيع من مزايا النظم نبضاته، الروحية كانت أم النفسية والفكرية، إلى جانب اللغة الشعرية داخل المنظومة المنتحبة مع العذوبة والرشاقة حينا، والجزالة والرصانة حينا آخر، بروعة الصياغة وقوة العاطفة، في تماسك الأنساق الفنية والدلالية معا، حتى يصير فحلاً في فنون النثر والنظم، فلا ترى منه باكيًا أحسن تبسُّما من القلم. فهذه المقالة تهدف إلى دراسة قصيدة "جمع الخردة في تخميس البردة" لرائد من رواد الشعر العربي النيجيري، الذي تعلّق نجمه بسماء الإبداع الشعري في التكنيك الفني، فزاده الله شهرةً في الإسم وبسطةً في العلم "الشاعر الدكتور إبراهيم أحمد مقري" مرتكزًا على ظاهرة الاقتباس في تخميسه للبردة في مدح خير البرية، بما فيها من روعة الألفاظ، وبلاغة الأسلوب، ودقة

* أستاذ بالمعهد الفدرالي للتربية، كاستينا، نيجيريا. البريد الإلكتروني:
umarmuhammedlawal@gmail.com

التركيب، ووضوح المعاني بتأصيل العواطف تحت المحاور الآتية وعلى الله قصد السبيل وهو الحق الوكيل:

* المحور الأول: نبذة تعريفية عن حياة الشاعر مقري.
* المحور الثاني: مفهوم الاقتباس بين المعنى المعجمي والبلاغي.
* المحور الثالث: آراء العلماء حول الاقتباس القرآني.
* المحور الرابع: عرض نص القصيدة في تخميس البردة.
* المحور الخامس: تحليل ملامح الاقتباس القرآني في تخميس مقري.
* المحور السادس: القيّم الفنيّة بين النّص الأصلي والإضافي.
* الخاتمة ثم ثبت الهوامش والمراجع.

كلمات مفتاحية: تجليات الاقتباس، تخميس البردة، النكت البلاغية، روعة الصياغة، وصدق العاطفة، مع الخصائص الفنيّة.

Abstract

Allah grants whom He wills among His servants the poetical prowess, furnishes him with wisdom to quote from the verses of the noble Qur'an and endows him with adequate decisiveness to quote appropriately from the prophetic sayings, such that his artistry output becomes capable of excellent essence, subsists poetry in all its natural titles and explores its spiritual, psychological and intellectual pulsations from the mirror of poetic composition. He does this side by side with the powerful poetic language,

pertaining to the extracted poems with delightfulness and elegance in several fold together with eloquence and composure from time to time, with the chattel of composition and precise passion in solidifying the semantic and the artistry pattern together, until he becomes a genius in the Arts of Science and poetic composition without imitation of the aberrant. This essay will take a look at the poem "Jamiul Hurdat fi Takhmiisil Burdat" written by one of the pioneers of the Nigerian Arabic poem, whose star is hung to the poetic creativity in artistry triumph, whom Allah has increased in sublimity in name and profusion in poetic composition: poet Ibrahim Ahmad Maqory, focusing on the faces of quotation in his poetic verses together with all its peculiarities in good usage of articulation and composition, with the most beautiful arrangement and clarity in meaning in the following lines.

Keywords: Manifestation of Quotation, Takhmiisil Burdat. Semantic, The artistry pattern, poetic composition and Peculiarities in good usage of articulation.

المحور الأول: ترجمة عن حياة الشاعر مقري:

- **نسبه ومولده:**

هو إبراهيم أحمد بن سعيد بن خالد بن أحمد بن حمزة المقري،[١]. ولد هذا الكاتب العملاق والشاعر الفحل بمدينة زاريا ولاية كدونا، نيجيريا في الخامس من شهر سبتمبر، عام ست وسبعين تسعمائة وألف (١٩٧٦م)،

[١] المقري، إبراهيم أحمد وقفة معرفة السلسلة من حمزة جد الرابع للشاعر، ذلك لعدم الحصول على النسخة المخطوطة لشجرة العائلة لهذه الأسرة، كما خبر به يوم ١٩/ ٨/ ٢٠٠٨م.

من أب اسمه أحمد المقري، ومن أم السيّدة سودة "بلاربا" بنت محمد بلّو "سَائِنْ زَزَّوْ" وينتهى نسبهم إلى قبيلة الفلانية "فُوْتَوْرَوْ"[١]. نشأ إبراهيم مقري في بيت عريق في العلم والأدب والتعليم، نالت أسرة شاعرنا الشرف والكرم، ورزقت بالملكة الشعرية، إذ كان الجد الأعلى لهذه الأسرة —المعلم سعيد– شاعرًا وسبعين في المائة من أبنائه شعراء، حتى اغترفت هذه الأسرة العلم من مجلات علمية مختلفة ونالت قسطًا وافرًا من الثقافات الإسلامية والعربية مع العلوم الغربية، فأصبحتْ يدّ هذه الأسرة تبحث عن كل وارد وشارد في مختلف الفنون العلمية، وفي شتى الثقافات العربية، لتغترف من بحيراتها الفياضة، وتتبوأ منها مقعدها.

كان والد إبراهيم أحمد مقري عالما وشاعرًا، وكانت السيّدة سودة والدة إبراهيم عالمة متمتعة بتذوق الشعر، ويمكن أن يقال أن إبراهيم قد ورث الشعر كابرًا عن كابر، فكاد أن يمشي الشعر بقدميه ويرى بعينيه.

- **تعلّمه:**

تعلّم القرآن الكريم ومبادئ الدراسات العربية والإسلامية على أيدي العلماء الراسخين في العلم، ولما بلغ إبراهيم خمس سنوات في العمر أرسله والده إلى المدرسة الابتدائية (Grammar Primary School)، في كتشنا إلا أن تعلّمه في المرحلة الابتدائية لم يكن مستقراً لظروف والده التنقلية، حيث

---

[١] بن سائن ززّو، **مذكرته في أسرة عمر الوالي**، ص: ١٨، مطبعة الهدى زاريا نيجيريا.

أكمل تعلّمه الابتدائي بين ثلاث مدارس، في مدينة كتشنا وزاريا خلال خمس سنوات ما بين عام (١٩٨١- ١٩٨٦م)، وحصل على الشهادة الإعدادية بكلية كفينا (Kufena College) زاريا، عام (١٩٩٩م). ثم نقله أبوه من المعهد الغربي إلى المعهد العربي الإسلامي ليجمع بين الثقافة الغربية والإسلامية، وقضى فيه ثلاث سنوات إلى أن نال الشهادة الإعدادية من كلية الدراسات العربية التابعة لجماعة نصر الإسلام زاريا. وفي عام ١٩٩٣م رزقه الله بالمنحة الدراسية من قِبَل جامعة الأزهر الشريف حيث بدأ بدراسة تمهيدية، ثم ارتقى إلى الدراسة الجامعية خلال ستة سنوات، وحصل على شهادة الليسانس في الصحافة والنشر باللغة العربية عام ١٩٩٩م.[١]

وبعد رجوعه إلى نيجيريا سجل لرسالة الماجستير في اللغة العربية, بقسم اللغات النيجيرية الإفريقية جامعة أحمد بللو زاريا، عام ٢٠٠٢م, وتمّ له أن حصل على الشهادة عام ٢٠٠٥م. ثم واصل دراسته العليا لرسالة الدكتوراه بقسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو عام ٢٠٠٦م، حتى بلغ منتهاها ومرعاها فنال شهادتها عام ٢٠٠٩م[٢].

---

[١] د. ناصر مرتضى إبراهيم، **المدائح النبوية عند بعض علماء مدينة زاريا**، مطبعة جامعة بايرو كنو عام ٢٠٠٩م ص ٨٠- ٨١.

[٢] د. ناصر مرتضى إبراهيم، **المديح النبوي عند إبراهيم مقري زاريا**، مكتبة قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو، عام ٢٠١١م، ص ٣٩.

نشأ إبراهيم ذكيًّا ومطبوعًا على حب القراءة والمطالعة منذ أن كان في المهد صبيًّا، وقد ساعده الذكاء وسيلان ذهنه على استيعاب معلومات كثيرة من فنون علمية مختلفة، في مجالات اللغة العربية والدراسات الإسلامية والإنجيليزية، وقد قرأ كُتبا علمية كثيرة، ودواوينا شعرية متعدّدة، مما ساعدتْه على تكوين شخصيته العلمية، فأصبح عالمًا وكاتبًا، شاعرًا وداعيًا، خطيبًا صوفيًا، أديبًا ومحاضرًا.

- **انتاجاته:**

كان إبراهيم مقري مفكرًا ومجدًّا، رزق كثير من الإبداع والحِكَم، فهو على رغم من صغر سنّه، علمه أجلّ من عمره، وما دام أن المجال العربي هو مجال تخصّص الشاعر الأكاديمي، الدكتور إبراهيم مقري، فإنه كتب مؤلفات عديدة ومقالات كثيرة منشورة في المجلات العلمية، ويجب في هذه العجّالة أن نسجّل طائفة من إنتاجاته الفياضة بمضامينها الجذّابة منها:

١- محاضرات في الأدب العربي [٢٠٠٧، The Juncture Publishers, Jos]

٢- محاضرات في علوم اللغة

٣- التجسيد وتشكيل الصورة الشعرية دراسة في فائية الشيخ إبراهيم صالح الحسيني. [٢٠٠٧، Al- Arabiyya, NALV, Vol. 1, No 1.]

٤- صلة الشعر النيجيري المكتوب باللغة العربية ببيئته، قراءة تطبيقية في تزيّين الورقات للشيخ عبد الله بن فودي، [٢٠٠٥، Al-Lisan, Vol.1, No 2]

٥- استدعاء الخطاب القرآني في شعر يحيى النفاخ [JISR Abu].

٦- البنية التركيبية للتشبيه في ديوان الرياض للشاعر عيسى ألبي [٢٠٠٧، Prof Ajetunmobi Book].

٧- إشكالية مصطلح الأدب الإسلامي نيجيريا نموذجًا. [٢٠٠٥، JISR Vol.2, No:2].[1]

هذه قسط قليل ضمن انتاجات مقري الأدبية والإسلامية وله مجموع مطوّلة، وخاصة ديوان شعره خلاصة العشرينيات، وكان مقري من أعلام الشعر العربي ينتجه عصر النهضة الحديثة في نيجيريا، ارتكزت جلّ حياته في تفكير ودعوة، وعلم وتأمل، وفقه وتطلّع، ولم يكتب فقط في المجالات الأدبية، فقد تناول معها المجلات الإسلامية الأخرى، وقضايا المرأة على حد ما نرى في مقالته بعنوان "رمز المراة في الشعر الصوفي" شعر الشيخ إبراهيم الكولخي نموذجا خير دليل على ذلك.

---

[1] د. ناصر مرتضى إبراهيم، **المرجع السابق**، ص: ٥٧.

- **ثقافته الشعرية:**

وهب الله إبراهيم مقري عاطفة قويّة، ونفسًا فنية، سمّتْ به عن أقرانه من نابتة العصر، وزاده بسطة في العلم والإبداع، بكثرة مطالعته المتناهية. وحبه الجامع للقراءة والكتابة، فإن أكثر الكتب مطالعة عنده القرآن الكريم مع أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويكثر له ذكرًا ومدحًا، صلاةً وسلامًا. ويبدو جليًّا من هذا أن الشاعر الدكتور إبراهيم مقري، وقد ورث الشعر من جهة والده، كما مصّه من ثدي أمه، شأنه في ذلك كزهير بن أبي سلمي الشاعر الجاهلي، فالشعر عنده طبع بعد أن كان فطرة، يتّخذ دلالته من خلال السياق العاطفي، أما سمعتَ الحوار بينه وبين حبيبة يحيى ألفدري حيث قالت:

"لا يغيب في خلدي يوم جهزتُ للذهاب إلى المدرسة فتأخرت، وعند ما دخلت مكتبه وجدته يكتب الشعر، فسألته عما يكتب في نوع من السخرية، فقال أتشكين في كوني شاعراً قلت لا! لكن قل لي من الشعر كذا بيتا في بحر كذا وقافية كذا فأعطيته الغرض وجميع الأشكال التي أريد أن يتميز به الشعر متحدّية إياه، فما وافى عشر دقائق إلا والقصيدة جاهزة على أحسن ما يكون الشعر، إنه يتعامل مع

الشعر كما يتعامل مع غيره من صفوف الكلام
سواء بسواء"[١].

كان شعر مقري عامر الأبيات، متين القافية، مختار اللفظ، يغلب فيه المدح والغزل النبوي، والشعر الصوفي، وشعر الشكوى، والفخر والحكمة، ومما يتّصل بهذا؛ أن مقري كان يؤثر في الجمهور بإلقائه بالقدر الذي يؤثر فيهم بنفس شعره، لقد كان في نبرات صوته، وحسن إجادته في الإلقاء يلعب بعواطف السامعين بألفاظه ومعانيه، استمع منه طلعته:

الحسن فني وحي الحب عنواني ** فاقرأ أطاليسه في خط أجفاني[٢].

انظر كيف ينصت إلى جرسه ووقعه على سمعه قبل أن يبدأ بإيقاعه، وما أحسن هذا الفن؟ وما أعظم عنوانه؟ فهل هناك حسن فوق كعبة المحبين سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وهل هناك حي الحب دون حبه!!؟ لهذا لا يعرف شاعرنا من فنون الشعر العربي سوى فن المديح النبوي الشريف وما والاه، متشربا بالنوبان العاطفي والغزل الصوفي، يأخذ أوتار الأوزان والقوافي وينسج على منوالها أفكاره وشعوره النفسية من تفاؤلاته وشطحاته الروحية، وقد تتجلى عبقريته من خلال انعكاس هذا الفن لتجاربه الشعرية بأوسع أبوابها، ويستطلع من مزاياها نبضاته الروحية

---

[١] المقري إبراهيم أحمد: **خلاصة العشرينيات، ديوان شعر**، دار الاتحاد للطباعة، بمصر، عام ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م، ص: ١٦.

[٢] المقري، إبراهيم أحمد: **المرجع نفسه**، ص: ٥.

والنفسية والفكرية معا، وقلّما تمكّن لشاعر غيره هذه الملكة والوظيفة، اسمع إليه وهو يشكو جامعة الأزهر الشريف التي تمثل رمز العطاء العلمي:

أتمنحه في حب طه امتيازة ** وقد منحته أزهر العلم جيّدا[١].

قد تبحر مقري في جميع الفنون الأدبية نثرًا ونظمًا، غير أنه يتكاثر من قرض الشعر دون النثر، كان له ديوان الشعر، جمعه بنفسه وهو متداول بروح التجديد والتطور من جانب، وكما كان متّسما بروح الثورة في الصياغة والمضمون على الشعر العربي النيجيري من جانب آخر، بحسب ما نراه في خلاصة العشرينيات ديوان شعره، كان موفور العاطفة، محكم البناء سبكًا وجزالةً، مع وضوح في المعنى وسهولة في التعبير.

وهاك مميزات ديوانه وخصائصه كما عرضها الدكتور أمين يهوذا[٢].

- الحسن الإيقاعي - السرد الدرامي الفني
- تكثيف الرمز الشعري - المفارقة التصويرية
- الغزل النبوي - الصور التناصية
- تكامل الصورة الفنية.

---

[١] المقري، إبراهيم أحمد: **المرجع نفسه**، ص: ٦.

[٢] المقري، إبراهيم أحمد: **المرجع السابق**، ص: ١٥.

المحور الثاني: الاقتباس بين المعنى المعجمي والبلاغي:

القبس في اللغة: الشعلة من النار، والإقتباس مصدر الفعل: اقتبس ومعناه: استفاد واستنار، وعلى كل فهذا اللفظ يتضمن أمرين آخذ: وهو المقتبس، ومأخوذ منه: وهو المقتبس منه، وقبسا منه النار، أخذها شعلة، وقبس منه النار: أقدها وقبسه النار: جاء بها، أقبس فلانا: أعطاه قبساً، أقبس منه النار بمعنى قبس الذي تؤخذ من معظم النار[١].

وقبسة العجلان: مَثل يضرب في الاستعجال تشبيهاً بالمقبس الذي يدخل الدار ولا يمكث فيها إلا ريثما يقتبس المقبس، جمع مقابس: موضع الخطب المشتعل بالنار، والمِقْبَس: ما قبست به النار قَبَسَ –قَبْساً العلم: تعلّمه واستفاده، وقبس فلان العلم: علمه إياه، اقتبس منه العلم: بمعنى قبس، واقتبس الشاعر أو الكاتب بمعنى: ضمن كلامه أية دينية أو حديثا أو قاعدة من العلوم، ومنه الاقتباس عند البديعيين.[٢]

وقد يقال: جئت لأقتبس من أنوارك[٣]. وفي القرآن الكريم ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ

---

[١] **المنجد في اللغة والأعلام**، ص: ٦٥.

[٢] **المنجد في اللغة والأعلام**، ص: ٦٦.

[٣] **المعجم الوجيز**، ص ٤٨٧.

وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ الحديد: [١]. وخص البلاغيون الاقتباس بأن يضمن الكلام شيئا من القرآن أو السنة الشريفة لا على أنه منه.

والصلة بين المعنى اللغوي والمعنى البلاغي ظاهرة، لأن المقتبس لشيء منهما في كلامه مستفيد بما اقتبسه، مستضئ بذلك المقدار الذي وضعه في كلامه من آي الذكر الحكيم، أو أحاديث النبي الكريم صلى الله عليه وسلم. والاقتباس بهذا المعنى وقع في الشعر والنثر فمن وقوعه في الشعر قول الحماسي:

إذا رمت عنها سلوة قال شافــع ** من الحب ميعاد السلو المقابر

ستبقي لها فب مضمر القلب والحشا ** سريرة وُد يوم تبلى السرائـر[٢]

فقوله: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ الطارق: ٩ أية من سورة الطارق، ومن وقوعه في النثر قول الحريري صاحب المقامات: (هنالك يرفع الحجاب، ويوضع الكتاب، ويجمع من وجب له الثواب، وحق عليه العقاب، ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ الحديد: فقوله:

---

[١] سورة الحديد، آية: ١٣.

[٢] المطعني عبد العظيم إبراهيم محمد، **البديع من المعاني والألفاظ**، الطبعة الأولى، بمكتبة وهبة بالقاهرة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص:١٦٥.

(فضرب بينهم إلى آخره...) مأخوذ من سورة الحديد، وهو جزء الأية رقم: ١٣ منها.

وقال آخر:

إن كنت أزمعت على هجرنا ** من غير ما جرم فصبر جميل
وإن تبدلت بنا غيرنا ** فحسبنا الله ونعم الوكيل[1].

وفي كل موضع يكون فيه اقتباس من القرآن الحكيم فإنك تهتدي إلى إدراكه في غير عناء، وذلك لما امتاز به كلام الله من خصائصه في اللفظ والمعنى لا مثيل لها في كلام البشر، لذلك تجده فريداً في ترتيبه، وضيئاً في تراكيبه، يتألق في شموخ بين ما أزدان به من كلام، ومواضع الاقتباس وصوره غير خاف عليك أمرها في النصوص السابقة، فاستمع مرة ثانية إلى ابن الرومى:

لئن أخطأت في مدحيك ** ما أخطأت في منعي
فقد أنزلت حاجاتي ** بواد غير ذي زرع

وقال عمر الخيام:

سبقت العالمين إلى المعالي ** بصائب فكرة وعلوّ همه
ولاح بحكمتي نور الهدى في ** ليال للضلالة مدلهمه

---

[1] المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد، **المرجع السابق**، ص:١٦٧.

يريد الجاهلون ليطفئـــوه ** ويأبى الله إلا أن يتمّـــه[١]

أما ابن الرومى اقتبس قوله تعالى: ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ إبراهيم: ٣٧، وعمر الخيام اقتبس نصًّا لكنه لم يلتزم فيه حرفية النّص كما ترى. وذلك أمر بعضهم قد تسامح فيه أن دعا إلى ذلك المحافظة على الوزن وغيره[٢]. واشترطوا لجواز هذا التسامح أن يكون يسيراً وإلا فلا.

نوعا الاقتباس:

قسم البديعيون الاقتباس إلى قسمين: أحدهما: ألا ينقل فيه اللفظ المقتبس من معناه الذي ورد فيه إلى معنى آخر، ويقع تحت هذا القسم كل الأمثلة المتقدمة ما عدا قصيدة ابن الرومي.

وثانيهما: أن ينقل فيه اللفظ المقتبس من معناه إلى معنى آخر، ومنه قول ابن الرومى السابق: "لقد أنزلت حاجاتي بواد غير ذي زرع" لأن قوله تعالى: (**بواد غير ذي زرع**) مقصود به حقيقة الوادي. فأخرجه ابن الرومي إلى معنى مجازي على التمثيل، حيث شبه من كان يمدحه بالوادي القفر

---

[١] المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد، **المرجع نفسه**، ص:١٦٧.

[٢] القزويني، أبو عبد الرحمن قاض القضاة، **شروح التلخيص**: الحلبي ١٩٣٧م، جـ٤ ص:٥١٣.

من الزرع والماء لأنه بخيل منوع. وكذلك اقتباس الشاعر لفظ الحديث في النصوص السابقة.

المحور الثالث: آراء العلماء في الاقتباس القرآني:

وما من ريب في أن تراكيب الكلام، وما لها من دلالات وخصائص، وما يكون بها من تصوير، تحتاج من الدارس إلى تمهل وتأن، وبحث وتنقير، كما يقول الزمخشري – آونة وأزمنة–. وقد اختلفت آراء الفقهاء والعلماء في جواز الاقتباس من القرآن الكريم، فبعضهم منعه، وبعضهم أجازه مطلقا، وبعضهم أجازه بشرط ألا يتنافى مع مبادئ الدين وقيم الإسلام، فلا يجوز الاقتباس في الهزل والسخف، ولا الاقتباس ما نصبه الله تعالى إلى نفسه، كما روي أن أحد الولاة وقع على شكاية رفعت إليه: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ الغاشية: ٢٥ – ٢٦، ولا أخذ شيئا من القرآن الكريم وجعله بيتا من الشعر، كما في قول الشاعر:

كتب المحبوب سطـــرا *** في كتـــاب الله موزون
لن تـنالوا الـــبر حتى *** تنفـقوا مما تحـــبـون

لأن هذا الصنيع يتنافى مع نفي الشعر عن القرآن المجيد إلى غير ذالك مما يتناقض مع تعاليم الدين، أما إذا لم يتعارض الاقتباس مع روح الدّين وقيمه ومبادئه فلا غبار عليه، وهذا الرأي هو ما نراه أولى بالقبول والترجيح على

حد ما مرّ بنا في شواهد الاقتباس. والأولى بالإعتبار عدم الترخص في النّص القرآني بالتغيير والتبديل لا مراعاة لوزن ولا لقرينة سجع، لأنه في الاقتباس وغير الاقتباس فيه انتهاك لحرمة النّص القرآني، الواجب الالتزام بصورته كما أنزل من لدن حكيم حميد، وهو نوع من التصرف وإن حسنت معه النية ونبل المقصد، فإنه لا ضرورة تقتضيه. فعلى مريد الاقتباس من القرآن الحكيم أن يطوع صيغ كلامه هو لتتسق مع النّص القرآني المقتبس، وإن تعذر عليه ذلك فلن يلحقه من ترك الاقتباس وهو أمر في السعة ما سوف يلحقه من التصريف في النّص المقدس الواجب السلامة.[١]

أما التصرف في الحديث النبوي من أجل الاقتباس فجائز، لأن العلماء جوزوا رواية الحديث بالمعنى ولم يجوزوا ذلك في نصوص القرآن الكريم، وعلى هذا جاءت الآثار الأدبية في الاقتباس من الأحاديث الشريفة، ومن ذلك قول الشاعر:

قال لي: أن رقيبي ** سيء الخلق فداره
قلت: دعني وجهك ** الجنة حفت بالمكاره

فقد اقتبس الشاعر قول الرسول عليه السلام (حفت الجنة بالمكاره).

---

[١] المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد، **المرجع السابق**، ص:١٦٨.

المحور الرابع: عرض نص القصيدة في تخميس البردة :

غدت قلوبي في ذكراه عامرة ** ومدحه منذ بان الحق حصحصة
ورضوه –جبر– بي قد زادني ثقة **يا لائمي في الهوى العذري معذرة
مني إليك ولو انصفت لم تلم

رفقا بحالي فإني غير مقتدر ** عن سدِّ دمع من العينين منهمر
أوطفيء نار منَ اقصى القلب مستعر **عدتك حالي لا سرى بمستتر
عن الوشاة ولا دائي بمنحسم

قد اشربوني كئوس الحب من أزل ** لم أرو من علِّه كلا ولا نهل
واشتعلّ رأسي ولا أنفك في غزلي ** إني اتهمت نصيح الشيب في عذل
والشيب أبعد في نصح عن التهم

والنفس سارقة للمرء إن لحظت ** سل من قد ائتمنوها لا إخال وفت
ويحي جرعت من الآثام ما عظمت ** فإن أمارتي بالسوء ما اتعظت
من جهلها بنذير الشيب والهرم

فالنفس هائمة (والقلب ما انتذرا) ** في كل واد، وحالي حالة الشُعَرا
فما اتعظت بـ"فرقان" ولا "بقرا" **ولا أعدَّت من الفعل الجميل قرا
ضيفٍ ألمَّ برأسي غير محتشم

فالنفس يا صاحبي بالسوء آمرة ** وإنها لطريق الخير قاطعة
أعِدْلها ما استطعت، النفس غاشمة ** وراعها وهي في الأعمال سائمة
وإن هي استحلت المرعى فلا تسم

فهذِّب النفس تضحى صلح زاكية ** أو تطمئنُّ إلى الإحسان راضية
وإن غفلتَ تكن للسوء خاضعة **كم حسَّنت لذّةً للمرء قاتلة
من حيث لم يدر أن السم في الدسم

فتب نصوحاً إلى الرحمان ممّ مضت ** وأنت تغفل عنها وهي قد كُتِبتْ
فاستغفر الله منها علّها بُرِحت **واستفرِغ الدمع من عين قد امتلأت
من المحارم والزم حمية الندم

واهجر محطاط عصيان ولو لمما **دع الصغائر كي لا تقرب العظما
إن قيداك بالاستغفار تسلهما **وخالف النفس والشيطان واعصهما
وإن هما محضاك النصح فاتهم

هما عدُوَّان للإنسان كن فهما ** فاحذر وُقِيتَ الرَّدى من أن تطيعهما
فاسمع حذار وقوعا في مصيدهما **ولا تطع منهما خصما ولا حكما
فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

له الملائك خرُّوا عند ما سجدوا **كذا الخلوق جميعا عنه تستند
والفيض يأتي إلينا منه والمدد ** نبيُّنا الآمر الناهي فلا أحد
أبرّ من قول لا منه ولا نعم

ليتني تعانقني فضلا عنايته ** يوم الجزاء إذا قامت قيامته
وتشمل العبد في الداريـن رافته ** هو الحبيب الذي ترجى شفاعته
لكل هول من الأهوال مقتحم

بـ "إنما أنا" قد سرَّ الورى القسم ** لم لا ومعطي الجميع العادل الحكم

والخلق كلهم في بابه ازدحموا ** وواقفون لديه عند حدِّهِم
من نقطة العلم أو في شكلة الحكم
لم يدر مقدارَ طه النونُ والقلم ** كذا العقول على إدراكه عجم
وما درت وعدت ألا يبوح فم ** دع ما ادعته النصارى في نبيِّهم
واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
سمُّ الخياط —وربي- كل معترف ** من بحر أمداحه يا مادح اعترف
فلتترك البحر رهْواً والهُ في طرف ** وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف
وانسب إلى قدره ما شئت من كرم
ما صبَّ شيئا سوى في حقِّ مسكبه** فإن في "حدِّثوا" أو "خاطبوا" انتبه
أقصى العناية أعدِل إي ورب به ** لم يمتحنَّا بما تعيى العقول به
حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم.
حور الجنان مع الولدان في شغف ** إليه مهما بدا والكل في صدف
ينسيكم يوسف الموصوف في الصُّحُف**كأنما اللؤلؤ المكنون في صدف
من معدني منطق منه ومبتسم
فمذ بدا اتحد الأعراب والعجم ** ضمَّتْهم كلمة التوحيد كلّهم
أما العماة فقد صمُّوا وقد بكموا ** يوم تفرَّس فيه الفرس أنهم
قد أنذروا بحلول البأس والنقم
فالصبر أندى سلاح قيل: كم فئة ** قليلةٍ غلبتْ في كل معركة
كفى على الشرك يوم البدر من عظة **كأنهم هربًا أبطال أبرهة

أو عسكر بالحصى من راحيتيه رمي

وفي حنين تولَّى الشرك منهزما ** (أنا النبي لا كذب) قد قال فاصطلما

جيش الغواية، سل عن طه يوم رمى ** نبذا به بعد تسبيح ببطنهما

نبذ المسيح في أحشاء ملتقم

واستسلموا بعد طول النكر قاطبة ** لمَّا رأوا آية في الأفق بارزة

فسل عن الخبر المشكوك شاهدة ** جاءت لدعوته الأشجار ساجدة

تمشي إليه على ساق بلا قدم

فالله عظَّمه حقا وفضَّله ** على الورى وبدين الحق أرسله

فينا ليزهق وهم الشرك مبطله ** أقسمت بالقمر المنشق إن له

من قبله نسبة مبرورة القسم

سلهم أخانا الذي في الغار قد ختما ** على عيونهم حتى ابتُلوا بعمى

سل إذ عموا يومها:عمّا؟ وكيف؟ لما؟**فالصدق في الغار والصديق لم يرما

وهم يقولون ما بالغار من أرم

الله أكبر عزّ الله جلّ علا ** فعينه حفظ الإثنين إذ نزلا

أما القريش فأوحى الله بينها جدلًا ** ظنوا الحمام وظنُّوا العنكبوت على

خير البرية لم تنسج ولم تحم

لقدره وكذا المقدار تخبرنا ** وعن مخالفة الماحي تحذرنا

الله تسلكنا حينا وتجذبنا ** لم تقترن بزمان وهي تخبرنا

عن المعاد وعن عاد وعن إرم

جلُّو وراءك طـرًّا فـي مواكبهم ** وينـزلون تباعـا فـي منازلـهـم
ويدهشون على ما قد وصلت بهم ** وأنت تحترق السبع الطباق بهـم
في موكب كنت فيه صاحب العلم
قل لي وربي الذي أوريت في فلك**في حضرة القاب إذ زالت دجى الهلك
بقاب قوسين أو أدنى وفي نسـك ** فحزت كـل فخار غيـر مشترك
وحزت كل مقام غير مزدحم
ولّو بالأدبـار في حزن وفي عجب ** لما أحاق بهم وهنا من الحـرب
ومن صمود أيادي جيش خير نبي ** مـن كـل منتدب لله محتسب
يسطو بمستأصل للكفر مصطلم
قد ضلّ من ظنّ دين الحق سافك دم ** فسورة اقرأ أتت بدءً تلت بقلم
نهج الصحابة تأمين الذين سلم ** حتى غدت ملّة الإسلام وهي بهم
من بعد غربتها موصولة الرحم
مهما استحلوا تَجِد للفتح ثَمّ نبا ** (وقد أضلُّوا كثيرا) أصبحوا خطبا
مرمية (مرة أخرى تـرى عـجبـا) **كأنـهم من ظهـور الخيل نبت ربا
من شدة الحزم لا من شدة الخزم
قد بعت نفسي له نقدا يدا بيد ** فلست أخشى كسادا صاحبي بغد
مالي سواه طرا الحالات من سند**إن لم يكن في معادي آخذاً بيدي
فضلا وإلا فقل يازلة القدم
إن الدموع شهودي كلما سكبت ** على محبة خير الخلق إذ شهـدت

يـوم النفوس رهينات بما كسبت ** ولن يفـوت الغنى منه يدا تربت
إن الحيا ينبت الأزهار في الأكم
فلات حين البكا يجدي متى وقفت**والشمس قد كوّرت حين السما انفطرت
لـم آت زادا وهذي سـاعة أزفت ** ولم أزد زهرة الدنيا التـي اقتطفت
يدا زهير بما أثنى على هرم
(المرء مع من أحب) هل أكون له ** حمـل فؤادي مـن التهيام أثقلـه
قد أوجع الذنب ذا المغرور كاهله ** والطف بعبدك في الدارين إنّ لـه
صبرا متى تدعو الأهوال ينهزم
يا رب قل "كن" فيرمى في يدي القلم**أسقي الذين ببئر المصطفى ازدحموا
بالشعر يغبطه فـي نظمه النجم ** بجـاه من بيته فـي طيبـة حـرم
وإسمه قسم من أعظم القسم[١].

إن هذا الديوان في معطياته معانيا وأفكارًا، تشُدّ المتلقى إزاء الصورة المجسدة، متّسم بروح التجديد والتطور، وهذا الديوان قطعة من الديوان الكبير المعنون بخلاصة العشرينيات تحته سبعة دواوين نشر بعضها من قبل، وكل ديوان يحمل عنوانا مستقلاً، وهي على النحو التالي:

---

[١] المقري، إبراهيم أحمد، المرجع نفسه، ص:٢٤٩

(١)- العشاريات. (٢)ـرحيق المحبين. (٣)-نجوى الفؤاد. (٤)-صدى الهيمان. (٥)-منبع الحب. (٦)-أوتار الحياة. (٧)-جمع الخردة في تخميس البردة.

إن ديوان خلاصة العشرينيات يمثل روحًا لتجديد الشعر العربي النيجيري القديم، كما يمثل تطورًا وازدهارًا بالنسبة للشعر العربي النيجيري الحديث والمعاصر، وهو مواكبة لدرب الشعر العربي على مستوى العالم العربي والإسلامي.

المحور الخامس: تحليل ملامح الاقتباس القرآني في تخميس مقري:

يجمع القرآن الكريم بين غزارة المعنى وإحكامه، ورصانة اللفظ وفصاحته، واشتمل على نواح فكرية ونفسية مختلفة، من تشريع وتهذيب ووصف، في أبلغ الصور البيانية معنى ومبنى، وأشدها وأسماها تأثيرًا ومكانًا، مع عدم التقييد بقيود الفن المفروضة، أو طرق أدبية مرسومة، بل سار على التجديد والابتكار والتنويع والاعجاز. وعلى نحو ما تحلّل أغراض الشعراء وشخصياتهم تحلّل اتجاهاتهم الجديدة الفردية والجماعية، ويوضح ما قد يكون في أحد الاتجاهات عند شاعر معاصر من تأثيرات عربية دينية، أذكتْ الجذوبة الفنيّة فيه، وما من أديب مدقّق شاعرًا كان أم خطيبًا، إلا ويجد في القرآن الكريم حظّه، ويلقي فيه ضالته، فقد روي الجاحظ عن الهشيم: أنّ عمران بن حطان خطب عند زياد فأعجب بها الناس ثم مرّ

ببعض المجالس فسمع رجلاً يقول لبعضهم: هذا الفتّي أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن[1] فإذا أطلعنا أشعار مقري في ديوانه سنجد فيها تضاعف تأثيره وجاذبيته بصيغ القرآن العظيم، وتراكيب أحاديث النبي الكريم في ألفاظ استشهدها وفي معاني اقتبسها.

ومن حلاوة اقتباسه بالقرآن الكريم قوله:

غدت قلوبي في ذكراه عامرة ** ومدحه منذ بان الحق حصحصة

قد تأثر الشاعر بلفظ القرآن على حد قوله في عجز البيت "بان الحق حصحصة" والغاية من هذا الاقتباس تجلية الحق وإحقاقه، يصحص ويمكث، وإظهار الباطل وإبطاله، يضمحل وينمحق ولو طال المدى، وظاهرة الاقتباس في صورة التلميح، حيث اقتبس الشاعر مقري من قول رب العزّة ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَاوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ يوسف: ٥١.

---

[1] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **البيان والتبيين، جـ١**، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع بالقاهرة، ٢٠١٠م، ص٩٥.

ومن ذلك قوله:

قد آذن الشيب قل لي كيف أستره ** حسبته هيّنا والبدر تصغره

فهذا البيت من البحر البسيط، ويوجد الاقتباس القرآني في عجز البيت حيث امتص الشاعر مقتبسا من قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ النور: ١٥. في فحوى التلميح والتعجب، استصغر الشاعر شأن الشيبة، متسما بنماذج غريزة تثرى الألباب، حينما كانت إيذانا للشيخوخة، وكبر السنّ وضعف القوّة.

ومن جاذبيته بالقرآن قوله:

رفقا بحالي فإني غير مقتدر ** عن سدّ دمع من العينين منهمر

تأثر الشاعر بلفظ القرآن في كلمة "منهمر" مقتبسًا من قوله تعالى ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ القمر: ١١. فإنك تحسُّ جمالاً لفظيًا أنيقًا، ينبعث من رنين كلمتين "مقتدر ومنهر" المجانستين في الحروف، بالتحسين اللفظي، فتضافرت ظاهرة بلاغية على تحقيق المعنى الذي ينادي به السياق، فيفيد الاقتباس امتداد الدمع في عينيه، واستمرار الشوق في قلبه، لشدة الرغبة بلقاء حبيبه.

ومن التأثير المعنوي بالقرآن قوله:

واشتعل رأسي ولا أنفك في غزلي ** إني اتهمت نصيح الشيب في عذل

وصورة الاقتباس القرآني في مطلع البيت جاء من رحاب قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ مريم: ٤. وفيه كناية عن كبر السنّ لو قال " رب إني كبرت" صح الكلام وحصل المقصود، لكن أراد أن يبيّن الدلالة الواضحة على كبره وهو الجمع بين هذين ١- وهن العظم ٢- واشتعال الرأس شيبا، وإذا وهن العظم تداعى وتساقطت قوته، ولأنّه أشد ما فيه وأصلبه، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن، مشيرًا إلى الضعف بعد القوّة، وبياض الشعر بعد سواده.

ومما اقتبسه من القرآن لفظًا ومعنًا قوله:

ويحيى جرعت من الآثام ما عظمت ** فإن أمارتي بالسوء ما اتعظت

والواضح أن في عجز البيت لطائف الاقتباس في قوله تعالى حكاية من يوسف ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ يوسف: ٥٣ اقتبس الشاعر نصًّا بالمحتوى الفكري في فحوى الاعتراف والإنصاف، فيزيد رونق كلامه ودقة تعبيره، وتدرج على السكينة والرزانة فيما يعرضه، لما يضيفه إليه النّص القرآني من قوةٍ وجلالٍ، بينما يصف اعتراف العبد بما ارتكبها من جريمة الآثام، مبرزًا جرعتها في القلب، وكلّما زيّنتْ لها سوء الآعمال بحب الشهوات، تمتدّ وترتد إلاّ من رحم ربي العلي العظيم.

ومن حلاوة القرآن الكريم في شعره قوله:

فتب نصوحا إلى الرحمان مم مضتْ ** وأنت تغفل عنها وهي قد كتبتْ.

ففي البيت حلاوة قرآنية رائعة حيثما يقتبس الشاعر قوله، "فتب نصوحا" في مطلع البيت فناب عن المصدر صفته. وتقديره "فتب توبة نصوحا" على حدّ ما جاء في النّص البلاغي المقتبس منه حيث قال عزّ من قائل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ التحريم:٨. وأرقى ما يصوره سياق الكلام في بلاغة الأمر، لبيان نوعية التوبة في فحوى التوجيه والإرشاد، بقبسات القيم العليا التي نادى إليها الرسل، وقررها الإسلام على سريعة عادلة.

ومن عنايته بالقرآن قوله:

واهجر محطات عصيان ولو لمما ** دع الصغائر كي لا تقرب العظما

لحظنا في هذا البيت أنه اقتبس من قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ ﴾ النجم: ٣٢. وصورة الاقتباس هنا تفيد الشمول والكليّة.

ومن ظواهر بلاغية فيه: الطباق بين "الصغائر والعظما": وهو طباق إيجابي، وبلاغة الأمر في مطلع البيت، استعملت في طلب الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام في مغزى الإنكار، والكف الكلي عن العصيان ما ظهر منها وما بطن. وفق الشاعر فيما اقتبسه من الأية الكريمة، لأنّ المقام مقام النصح والإرشاد، وأحكم الربط بين الكلام والنّص المقتبس.

ومن حلاوة القرآن في تخميسه قوله:

له الملائك خروا عند ما سجدوا ** كذا الخلوق جميعا عنه تستند

إنّ مواضع الإقتباس وصوره غير خاف في هذا البيت، إذ التزم الشاعر بصورة النّص ونبل المقصد مقتبسًا من عدة آيات قرآنية كقوله تعالى ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ يوسف: ١٠٠ وقوله سبحانه وتعالى أيضا ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ مريم: ٥٨ وهكذا في قوله جلّ وعلا ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ السجدة: ١٥. وظاهرة الاقتباس جاءت في صورة التلميح، وأحسن ربط كلامه في انسجام مفرداته وجمله، بدلالة الأية الكريمة المقتبسة.

ومما اغترفه من القرآن قوله:

بـ"إنما أنا" قد سرّ الورى القسم ** لم لا ومعطي الجميع العادل الحكم

وهذه نتفة من بحر البسيط والواضح أنّ الشاعر مستشهد ومقتبس من قوله تعالى في إثبات شخصية المصطفى وبشريته ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ الكهف: ١١٠. وموكب النّص جاء للتلميح ولفت الأنظار إلى بشرية الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام،

وتنبيه إلى وجوب المضي على نهجه، وكما اقتضى هذا السياق إيثار الدلالة على القصر في قوله ب"إنما أنا" إشارة إلى كونه رسولاً يخلو كما خَلتْ الرسل من قبله.

ومما يلمح فيه لفظ القرآن قوله:

لم يدر مقدار طه النون والقلم ** كذا العقول على إدراكه عجم

هذا البيت موزون من البحر البسيط، والنص البلاغي في موطن الاقتباس القرآني جاء في فحوى المبالغة والتفخيم، مبيّنًا سموّ شخصية الممدوح، ومشيرًا إلى عظمة خُلق المرتضى، وكرامة شخصية المصطفى، عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم. فقد اقتبس الشاعر صدر البيت من مطلع سورة القلم، ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ القلم: ١. وفي هذه الظاهرة البلاغية مراعاة النظير بين الصحف والقلم.

من نغمته بالقرآن قوله:

فلتترك البحر رهوًا والهُ في طرف ** وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف

افتتح الشاعر هذا البيتيم مقتبسًا ومشيرًا إلى قوله تعالى: ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ﴾ الدخان: ٢٤. ومجيء الاقتباس هنا في صورة التضمين واستدعاء الخطاب القرآني لفظًا.

وفيه جناس مضارع غير تام بين اللفظين "طرف" في أخر الشطر الأول و"شرف" في قافية البيت، حيث اختلفا في الحرف الأوّل والوحيد. ناسب المقام هنا فأرجح، وأصاب المغزى فأوجع، كما يبدي مهارة الشاعر بوصل كلامه بغيره، دون تكلّف حتى يظهر في نسق واحد لتكوين الملكة على الأصول العريقة.

ومن تأثره بألفاظ القرآن قوله:

فإنّ في "أنتم الأعلون" منزله ** وغيره في "من العالين" نزله

وقد يتلطف هذا البيت ويترنن الشاعر حيث يرينا صياغة قرآنية، بما تتسع دائرة النّص البلاغي في بنية ووظيفة، بقوله في صدر البيت "وأنتم الأعلون" مقتبسا من قوله تعالى ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ محمد: ٣٥. حيثما يحاكي المولى الجليل نصره وعنايته ووقايته للنبي صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه، وأما قوله في عجز البيت "من العالين" مأخوذ من قوله جل وعلا: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ ص: ٧٥.جاء الاقتباس بنونية الفاصلة، وهي صوت الترنم والتنغيم وهمس النفس، لإحداث الأريحية إلي جانب ما تثيره العبارة من العاطفة، وتردع بلاغة هذا اللون البديعي في رعاية التناسب، وبراعة الاستهلال، وحسن التخلص. وكما يوجد جناس الاشتقاق بين قوله في آخر عجز البيت "منزله" وما في قافية البيت "نزله".

ومن ذلك قوله:

ينسيكم يوسف الموصوف في الصحف ** كأنما اللؤلؤ المكنون في صدف

تأثّر الشاعر بالقرآن الكريم حيث اتخذ نصيبه المفروض في عجز البيت، فيولّ وجوه القراء شطر قوله تعالى في سورة الواقعة ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ الواقعة: ٢٣. ومن لطائف بلاغية في هذا البيت ظاهرة التشبيه المرسل في قوله: "كأنما اللؤلؤ المكنون في صدف"، والغاية من هذا التشبيه تصوير الصفاء وإبراز الحسن ونقاء اللون مع الجمال بالفضائل. وهي أشياء ثمينة تصان، إذ يتمتع بها الهيكل العام ويحرص عليها بأعمق الوجوه، وأقوى عراها التي تتجلي روعتها في النّص البلاغي المقتبس منه.

ومما تأثر به لفظاً ومعناً قوله:

قد بعتُ نفسي له نقدًا يدًا بيدٍ ** فلستُ أخشى كساد صاحبي بغد

وفي البيت لطائف قرآنية مأخوذة من قوله تعالى ﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ التوبة: ٢٤. إنّ غزل المحبّة أدقّ من غزل العلاقة، وتجلية الاقتباس هنا توحي ما لحبيب من ذوق سليم، وحس مرهف وحبّ عميق، وعاطفة قويّة تجاه محبوبه، والنفس بالصدّيق آنس منها بالعشيق. ومغزى الاقتباس في غشاوة الحب، المتلمح بالأسلوب الغزلي الرمزي.

ومنه قوله:

أما العمات فقد صموا وقد بكموا ** يوم تفرس فيه الفرس أنهم

نلحظ في هذا البيت أنّه متأثر بالقرآن المجيد في قوله جل وعلا ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ الأنفال: ٢٢. وقد يتجلّى الاقتباس القرآني في النّص البلاغي بالتأثير المعنوي في صورة التشبيه، لدلالة على مدى التحقير والإهانة في فحوى الحيرة والغفلة والتخبط، ويعتمد في ذلك على التعبير بالتفصيل، لأداء البيان المتكامل للتدرج في مراقي الأمور بالتأكيد للتحقيق.

ومما يتلمح فيه معنى القرآن العظيم ولفظه:

فالصبر أندى سلاح قيل: كم فئة ** قليلة غلبت في كل معركة

بيدوا أنّ الشاعر في هذا البيت يتأثر تأثرًا معنويًا بما جاء من قوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ البقرة: ٢٤٩ وأداة الاستفهام هنا "كم" جاءت استخبارًا لتمنح براعيم البلاغة القرآنية ذوقًا سليمًا، وتفيد التكثير في النصر والغلبة بالمدد لا بالعدد، فطالما يجلب الصبر النصر، واليسر تعقيب العسر، والراحة في آخر مطاف التعب، والأمور بالتبادل، والأيام بالتداول، كما ظهر في إشارة النّص القرآني المقدّس المقتبس.

ومنه قوله:

لقدره وكذا المقدار تخبرنا ** وعن مخالفة الماحي تحذرنا

قد تأثّر الشاعر بالقرآن لفظًا ومعنى بقوله في آخر الشطر الثاني "وعن مخالفة الماحي تحذرنا" مقتبسًا مما حذرنا به المولى جل وعلا في محكم تنزيله ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ النور: ٦٣. وفي هذا الاقتباس إيثار التعبير في روعة النّص، بمتابعة الرسول الكريم عليه أزكى الصلاة وأتمّ التسليم، إذ هو المثل الأعلى للثقلين في حسن السلوك ومكارم الآخلاق. والمطلوب امتثال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه. فيفيد التهديد والتحذير، لأنّ الخير كلّ الخير في متابعته والشر كلّ الشر في مخالفته.

ومن التأثير المعنوي في تخميسه قوله:

واستسلموا بعض النكر قاطبة ** لما رأوا أية في الأفق بارزة

لحظنا في هذا البيت أنّه متأثر ومقتبس من قوله ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصلت:٥٣. وفي البيت جاء اللفظ المقتبس مفردا "أية" و "الأفق" وفي النص القرآني ورد جمعا "في ءايآتنا" و "الأفاق" وتفيد التضمين بما يقيسه الشاعر من أنماط ساطعة للتفكير الوجيه في خلق المخلوقات لا في ذات الخالق.

ومنه قوله:

فالنفس هائمة (والقلب ما انتذرا) ** في كل واد وحالي حالة الشعرا

اقتبس الشاعر في الشطر الثاني من القرآن الكريم لفظًا مناسبًا في الشكل والهيكل بقوله "في كل واد" في قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ الشعراء: ٢٢٤ – ٢٢٥ والتعبير القرآني الذى اقتبسه مقري مفتخرًا بشاعريته حين تفيض الكلمات بالحقائق والمعاني، وتنطق المنظومات بالآحداث والصور، وتلك العبارة القرآنية المقتبسة تضيف إلى المعنى روعة ومتعة، بحسن موقعها في الآذان وقوة أثرها في قلب المستمع.

ومن نغمته بالقرآن قوله:

فـالله عظّمه حقـا وفضّله ** على الورى وبدين الحق أرسله

فينا ليزهق وهم الشرك مبطلهم ** أقسمت بالقمر المنشق إن له

من قبله نسبة مبرورة القسم

قد تأثر مقري في أبياته المعروضة بمعاني آيات قرآنية في المدلول والمضمون، بجودة الفكرة ودسمة الأسلوب، وتتّسع دائرة النّص البلاغي في كل بنية ووظيفة بالذوق السليم، ومنها قوله في عجز البيت الأول "وبدين الحق أرسله" على حد قوله ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ الفتح: ٢٨. كما اقتبس نصيبًا مفروضًا في

البيت الثاني من مشكاة قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ الإسراء: ٨١.

ومن تأثير القرآن في تخميسه قوله:

سلهم أخانا الذي في الغار قد ختما ** على عيونهم حتى ابتلوا بعمى
سل إذ عموا يومها: عما؟ وكيف؟ لما؟ ** فالصدق في الغار والصديق لم ير ما
وهم يقولون ما بالغار من أرحم

فهذه الأبيات من البحر البسيط، وفيها الاقتباس القرآني في إفادة تلميح الحكاية حول ما جرى بين الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبي بكر الصديق أمام أذى المشركين وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ التوبة: ٤٠

انفطرتْ أساليب الإستفهام الثلاثة في الشطر الثاني"عما؟ وكيف؟ ولما؟" وأذنتْ ليوطن في قلوبهم مزيد توطين في هذا السياق متعجبًا ومستصعبًا، وأبين ما انطوتْ عليه من أسرار بلاغية، ونكت بيانية تحقيقًا وتأكيدًا. وفي عجزه جناس الاشتقاق بين كلمتي "الصدق والصديق" إذ أتيا من أصل واحد على نوادر يقظة المدلول، ويجعله أقوى أثرًا وتأثيرًا.

ومن الاقتباس القرآني في تخميسه قوله:

الله أكبر عز الله جلّ عــلا ** فعينه حفظ الإثنين إذ نــزلا
أما القريش فأوحى الله بينها جدلا ** ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على
خير البرية لم تنسج ولم تحم

فهذه الأبيات مثل سابقتها شكلاً ومضمونًا حيث يشير شاعرنا معرّضا قصة الغار حين اعتكف الرسول وصديقه عليهما السلام، ويتولى الله حفظهما بحسن حمايته، ووقايتهما بعين عنايته، كما جاء في الشطر الثاني "فعينه حفظ الاثنين إذ نزلا" وذلك في رحاب قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ التوبة: ٤٠. فلفظ "الإثنين" كناية الموصوف تنضم تحت جناح الشكل، من تصوير فني وتركيب جميل، إشارة إلى النبي الكريم وأبي بكر الصديق، عليهما الصلاة والسلام.

ومن التأثير اللفظي بالقرآن قوله:
ويدهشون على ما قد وصلت لهم ** وأنت تحترق السبع الطباق بهم
فهذا البيت من بحر البسيط والشاهد فيه قوله "السبع الطباق" المقتبس من قوله تعالى في سورة الملك ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ الملك: ٣. حيث اقتبس الشاعر من القرآن نصًّا لكنه لم يلتزم حرفية النّص في فحوى التلميح، إذ جعل المعقول كالمحسوس.

ومما اغترفه من القرآن قوله:

بقاب قوسين أو أدنى، وفي نسك ** فحزت كل فخار غير مشترك

فقد اقتبس الشاعر لفظًا في مطلع هذا البيت من آي الذكر الحكيم، ولكن دون المعنى المقصود أو الهدف المنشود في النّص المقتبس على حد قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ النجم: ٩ استوّت عبارة النّص المقتبسة واكتنّفت في قوله "بقاب قوسين"، جاء جرًا و مجرورًا بالإضافة في هذا التحميس، وفي البيان القرآني خبر كان بالإضافة حسب الدلالة والتركيب، وقيمتهما التعبيرية والجمالية في أداء المعنى المنوط به، والدلالة عليه في عبارة النص المقدّس.

ومنها قوله:

ولّوا بالأدبار في حزن وفي عجب ** لما أحاق بهم وهنا من الحرب

قد اتّخذ الشاعر مصدر قوله في صدر البيت "ولّوا بالأدبار" من قوله تعالى ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ الإسراء: ٤٦ ومن قوله جلّ ﴿ وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ الفتح: ٢٢. يتجلى الاقتباس في صورة التلميح بالتأثير اللفظي والمعنوي.

ومما استمسك بعروته في القرآن قوله:

قد ضلّ من ظنّ دين الحق سافك دم ** فسورة اقرأ أتت بدءا تلت بقلم

يرجع ألفاظ البيت إلى ما جاء من تنزيل حكيم حميد، حيث يقول الشاعر "سافك دم" مقتبسًا من قوله تعالى ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ البقرة: ٣٠ وهكذا ما جاء في قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾ البقرة: ٨٤). وتمثل مضمون هذا البيت ردًّا مقنعًا ومطبقًا بما جاء في النّص البلاغي المقتبس، أنّ الإسلام هو الدّين الوحيد الحنيف الذي جعل العلم والمعرفة مصدره، وتوفير الأمن وسلامة الوطن غايته، دون الجهالة والغباوة بالإرهاب، وتسفيك دماء الأبرياء كما يدّعي الآخرون. وكما نجد في عجز البيت ملامح تعبيرات قرآنية في قوله "فسورة اقرأ..." ببراعة المطلع في قول المولى عزّ من قائل ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ، ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ، ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ، عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ العلق: ١-٥

ومما يطوف الشاعر كعبته من ألفاظ القرآن قوله:

مهما استحلوا تجد للفتح ثَمَّ بنا ** (وقد أضلوا كثيرا) أصبحوا خطبا

يوجد في هذا البيتيم ظاهرة الاقتباس القرآني لفظًا ومعنى، دلالة على أن تابع الهوى يتخبّط دائما خبط عشواء، راكب الناقة عمياء في ليلة الظلماء، بل يضل ويُضل ويشقى. اقتبس الشاعر من رحاب قوله تعالى:

﴿ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴾ نوح: ٢٤.

ومما اتّخذ سبيله من القرآن قوله:

يوم النفوس رهينات بما كسبتْ ** ولن يفوت الغنى منه يدا تربتْ[١]

ففي صدر البيت حلاوة قرآنية لطيفة مما اقتبسها الشاعر لفظاً ومعنى في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ المدثر: ٣٨. أدلى الشاعر لصيغ الجمع بما جاء مفردًا في الآية المقدّسة بين " نفس – النفوس" و "رهينة – رهينات" في موكب الكلام الخبري، لما يتضمنه هذا الأسلوب البلاغي من إثارة للذهن، وتحريك للعقل، بما تتطلبه صيغ الجمع والإفراد في إشارة النص وعبارة الشعر، من تنبيه المخاطب تجاه تلك الحقيقة، والإقناع بمضمون الأنموذج الواقعي للحساب والحشر يوم تبلى السرائر.

ومما يمصه من القرآن قوله:

فلات حين البكا يجدي متى وقفت ** والشمس قد كُوِّرتْ حين السما انفطرتْ

إن هذا البيت في طياته معانيًا وأفكارًا مستنبطة من صيغ القرآن الكريم, أولاً في عجز البيت قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ التكوير: ١، ببراعة المطلع في تائية فاصلة النّص البلاغي، فناسبتها قافية البيت في روعة المقطع بألفاظ قرآنية رائعة لكشف المعنى وتوضيحه، ليكتمل المقصود، ويتّضح المراد، مقتبسًا من مفتح سورة الإنفطار على قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ الانفطار: ١

ومما يجتذبه من صيغ القرآن قوله:

---

[١] المقري، إبراهيم أحمد: **المرجع السابق**، ص ٦٤

يوم الندامات والويلات والكرب ** ولات حين مناص فاختموا طلبي

وفي صدر البيت يرسم الشاعر صورة ما في ضميره للتهديد والتنذير، من ندامات يوم يقوم الناس لرب العالمين، للحساب والجزاء على ما اقترفت أيديهم، واقتبس أية ليسلط ضوءًا بما جاء في المصحف الكريم حيث يقول عز من قائل: ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ ص: ٣

ومن صيغ القرآن في شعره:

فهذّب النفس تضحى صاح زاكية ** أو تطمئن إلى الإحسان راضية

وفي البيت ألفاظ قرآنية بديعة، وصيغ ربانية دقيقة، فها هي ذي خلوة رنانة في رحاب الإنشاء الطلبي في مغزى التوجيه والإرشاد، بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ الفجر: ٢٧ – ٢٨.

تبرز دلالة النّص أن تزكية النفس وتهذيبها تؤدي إلى اطمئنان القلب وراحته، بما تشتهيه الأنفس وتتلّذه الأعين، حين يلقي العبد المنيب رضا الرب المجيب، بحسن المآب يوم يقوم الحساب.

ومما استفاده من صيغ القرآن لفظًا ومعنى:

يا رب قل "كن" فيُرْمى في يدي القلم ** أسقي الذين بئر المصطفى ازدحموا

بالشعر يغبطه في نظمه النجـم ** بجاه من بيته في طيبة حـرم

وإسمه قسم من أعظم القسم

وفي هذا البيت الأخير تمنح الشاعر مقري براعيم البلاغة القرأنية ذوقًا سليمًا لبنانة قلمه ولسانه فرصة سانحة، مطمئنة على أنهار زرقاء اللون، وبيّن ذلك المشهد المؤثر راغبًا وداعيًا، متضرعًا ومفتتحًا بقوله في براعة المطلع "يا رب قل كن" المقتبس من عدة آي الذكر الحكيم، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ النحل: ٤٠ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ آل عمران: ٥٩. ومنها قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يس: ٨٢ – ٨٣. إن القدرة والإرادة لله وحده، لا دافع لما قضى، ولا مانع لما أعطى، وإنما أمره بين الكاف والنون لا محالة، وما لم يشالم يكن. له الفضل والمنّ، وله الأمر كلّه، وله الخلق كلّه، وهو القاهر فوق جميع عباده.

المحور السادس: القيم الفنيّة بين النص الأصلي والإضافي

قلّما نفتح باب النقاش عن تطور الشعر العربي النيجيري وخاصة الشعر الصوفي في عصر النهضة الحديثة إلا ولإبراهيم مقرى دوره، سواء في التعابير التي أبرزها من خلال أحاسيسه أو البناء الفني والتسلسل المنطقي التي كساها نحو منظوماته، وخير مشهد في ذلك قصيدة "جمع الخردة في تخميس البردة" مديح نبوي، وكل من له قلب أو ألقى السمع وأدرى الشعر، يعتبر هذه القصيدة من أروع التخميس لبردة مديح البوصيري،

حيثما أخذ الشاعر قلمه ويحاور النص الأصلي وأعاد تراكيبه في السياقات الدلالية لمحور أي بيت من فيضان الحكم، وغشيان العلم في نوابغ الكلم. وقلّما تسنى لشاعر هذه العبقرية الفريدة في محاورة النّص، إذ أفرغ مقري الشاعر في إقامته بروح الأصالة والتجديد، وألمّ بمعارف صيغه إلمامًا حسنً، وخاصة اللغة والأدب.

أخذ مقرى النّص الأصلي وزيّنه للناظرين، بعيون المعاني والأصداء العذبة، في التصوير البياني والتناسق الفنّي، وكان أسلوبه ممتازا بالوجازة والخلو من التكلف بسهولة ويسر، مع انسجام ألفاظه ومعانيه، وقلّما يميّز المتلقى بين النّص الأصلي والإضافي، ومن جانب أخر إن النّص الإضافي كاد أن يطغى جماله الفني وتأثيره الوجداني، في الواقع الحسي الملموس على النّص الأصلي، ولإبراز هذه القيّم الفنيّة في إيقاعة البنية التركيبيّة، نقرأ السطور الآتية مع الشاعر:

يا أيها الصب من وجد ومن ألم ** ما شأن هذا الذي في صدر من حدم
فلم تزل هائما في وهدة الدجم ** أمن تـــذكر جيران بـــذي سلـم
مزجت دمعا جري من مقلة بدم
أم عدت ما ضيك أم طيف لحاطفة ** سرى لتهيج نـــار فيك ساكنـــة
كم للهوى العذري من أسرى ومن ترة ** أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق في الظلماء من إضم

ما الخطب ما شأن عينيك وما حوتا ** فكل أسـرار قلب الصـب أعلنتا
والخـد أجرحـتا دمعـا وآرقتـا ** فما لعينيك إن قلت اكففا همتـا
وما لقلبك إن قلت استفق يهم
وكيف تخفي الذي في القلب يضطرم ** والـدمع يهمع إعلانـا به ودم
كما تعانق فيك الجلـد والعظـم ** أيحسب الصبّ أن الحبّ منكتـم
ما بين منسجم منه ومضطرم
للـه درك مـا للمـارة الأول ** وما لأطلالهم تصبو إلـى طـلل
فلتصح من ذكر ما للدهر من طيل ** لولا الهوى لم ترق دمعاً على طـلل
ولا أرقت لذكر البان والعلم[1]

نجد كيف يحاور النص الأصلي وأعاد تركيباته في تكنيكات فنيّة رائعة، ويجعل الجمال الفنّي أداة مقصودة للتأثير الوجداني، في النص البلاغي، عبر الصور التناصية تحت النكات البلاغية، وبكل هذا وذاك يعتبر مدائح مقري النبوية موسوعة أدبية لمعاني الحب والمحبوب. وما صاغه ذاك الشعور في جزلة متينة وصياغة باهرة.

[1] المطعني عبد العظيم إبراهيم محمد، **المرجع السابق**، ص:٢٢٨.

الخاتمة

تتبادر الأذهان نحو الحقائق الكامنة في الحِكَم والعرفان، من نصوص القرآن الكريم كلّ وقت وحين، وخاصة ما مرّ بنا من الدراسة والتحليل في الصفحات السابقة، لأنّ وجوه البلاغة التي توجد في كلام الشعراء، قائمة في كلام الله تعالى، ومعتكفة في أسلوب القرآن المجيد، على الوجه الذي ينقض العادة ويبلغ ما فوق الغاية، لأنه أشمل وأكشف، بل أعلى وأغلى من كلام البشر، وإنّه لتنزيل من رب العالمين. يتناول ضروبًا مختلفة ومتنوعة من المعاني والأحوال، فصاغ الألفاظ والتراكيب صياغة تنفطر لها القلوب، وساق الحجج والمعاني مساقًا تتجلى بها غشاوة الريب، ولفت إلى آيات الله شكلاً ومضمونًا، لفتًا لايزوغ منه إلاّ من في قلبه عمى. والأديب إنما يفعل ذلك ليزيد رونق كلامه وقوته، بما يضيفه عليه النّص القرآني المقدّس، أو الحديث النبوي المطهّر، من قوةٍ وجلالٍ، كما يبدي مهارته بوصل كلامه بغيره دون تكلّف حتى يظهرا في نسق واحد. فكان الشاعر إبراهيم أحمد مقري النيجيري في صف الشعراء الموهوبين زمام القلم، حتى يطوفون كعبة القرآن الكريم في تراكيبهم الشعرية، عبر الحقول البلاغية من حيث الفكرة والأسلوب. كما أدركنا هذا وذاك في تخميسه لبردة البوصيري المشهورة، حيث أخذ النّص الأصلي وردفه بألفاظ القرآن الكريم وصيغ الأحاديث الشريفة، وزيّنه للناظرين جملةً وتفصيلاً، معنى ومبنى، حوارًا ونقاشًا، عرضًا وتحليلاً. وعلى جميع الشعراء الباحثين أن يمشوا على درب القرآن في

منظوماتهم كي يكسوها جمالاً وروعًا، ويزيدوها بهاءً ورونقًا، ويحلقوها خلقًا آخر للنفع والإنتفاع، للتوجيه والإرشاد، لا للمتعة الفنيّة فحسب. لأنّ البلاغة التي اختصّ بها القرآن الكريم فاقتْ في وصفها سائر البلاغات، والإبداع الذي يتميّز به الحديث النبوي أعلى من سائر أنواع الكلام الموصوف بالبلاغة والفصاحة، جاوزتْ ما تستطيع الأقلام توضيحَها، أو تحيط السطور بيانَها. أفضل الصلاة وأتمّ التسليم على من نزّل عليه من لدن حكيم حميد ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ الكهف: ٥٤

المصادر والمراجع

(١) المقري، إبراهيم أحمد وقفة معرفة السلسلة من حمزة جد الرابع للشاعر، ذلك لعدم الحصول على النسخة المخطوطة لشجرة العائلة لهذه الأسرة، كما خبر به يوم ١٩/ ٨/ ٢٠٠٨م.

(٢) بن سائن زرّو، **مذكرته في أسرة عمر الوالي**، مطبعة الهدى زاريا نيجيريا.

(٣) د. ناصر مرتضى إبراهيم، **المدائح النبوية عند بعض علماء مدينة زاريا**، مطبعة جامعة بايرو كنو عام ٢٠٠٩م.

(٤) د. ناصر مرتضى إبراهيم، **المديح النبوي عند إبراهيم مقري زاريا**، مكتبة قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو، عام ٢٠١١م.

(٥) المقري إبراهيم أحمد: **خلاصة العشرينيات، ديوان شعر**، دار الاتحاد للطباعة، بمصر، عام ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.

(٦) **المنجد في اللغة والأعلام**، د.ت، د.ط.

(٧) المطعني عبد العظيم إبراهيم محمد، **البديع من المعاني والألفاظ**، الطبعة الأولى، بمكتبة وهبة بالقاهرة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(٨) القزويني، أبو عبد الرحمن قاض القضـاة، **شـروح التلخيص**: الحلبي ١٩٣٧م، جـ٤.

(٩) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **البيان والتبيين، جـــ١**، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع بالقاهرة، ٢٠١٠م.